

مؤامرة الحل السلمي تكريس للهزيمة

إن الذين قبلوا بالحل السلمي^(١) قد قبلوا به في الواقع قبل قرار مجلس الأمن، منذ أن قبلوا بوقف إطلاق النار في حرب حزيران. ولقد كان بإمكان هؤلاء الاستمرار في الحرب والاعتماد على الامكانيات اللامتناهية للأمة العربية. إلا أن هذا الطريق ينطوي على مخاطرة ومجازفة بأنظمتهم، فضحوا بمصلحة الأمة العربية في سبيل المحافظة على أنظمتهم وأشخاصهم.

ولتبرير هذا التخاذل فقد قيل إن العدوان كان هدفه إسقاط الأنظمة العربية لا التوسع فظهر بعد ثلاث سنوات أن هدف إسرائيل والاستعمار كان التوسع والمحافظة على النظام لأنه ليست هناك غير هذه الأنظمة تستطيع أن تضمن لاسرائيل تحقيق أهدافها التي هي الصلح أولاً، والتوسع ثانياً، وتثبيت التجزئة بصورة نهائية ثالثاً. إن الاستسلام لمؤامرة الحل السلمي إنما هو نهاية مرحلة من مراحل الثورة العربية في بداية سيرها المتعثر المتردد، إنه إدانة لمرحلة زمنية كاملة وللعقلية والنظرة التي سادت المرحلة، وليست إدانة لأشخاص أو لحكم أو لنظام بالذات إلا بمقدار تعبيرهم عن هذه العقلية والنظرة. وبالتالي فإن التحليل المطلوب لهذه المرحلة يجب ألا يستهدف تسجيل الأخطاء على طرف من أجل تحقيق مكاسب سياسية وحزبية لطرف آخر، وإنما غايته جلاء الموقف على الطريق الذي ينقذ المستقبل.

إن روح التجرد والموضوعية لو كانت متوفرة إلى حد جيد في مستوى القيادات والحكومات لوجب على الذين غلبتهم ظروفهم وظروف واقعهم واضطرتهم إلى القبول

(١) من حديث وجه إلى عدد من المناضلين اللبنانيين في تموز ١٩٧٠.

بما لا يحقق الأهداف القومية، أن يفرحوا إذا رأوا القوى الثورية تندفع لمتابعة النضال
ولكان واجبهم ان يسهلوا عملها ويشيدوا بإخلاصها وبصحة سيرها بدلاً من أن يحاولوا
بكل الوسائل أن يخمدوا صوتها وحركتها، ويخفوا عن الأمة العربية وجود طريق غير
الطريق الذي سلكوه، وإمكانيات نضالية أكثر من التي استطاعوا تعبئتها.

إنها نهاية المرحلة القطرية في تاريخ الثورة العربية... نهاية العقلية القطرية التي
كثيراً ما تقترن بعقلية الانقلابات الفوقية التي تضع الوصول إلى السلطة في رأس
المسائل وتتوقف عند حدود الأساليب الإصلاحية بسبب قفزها السريع إلى السلطة
الذي لم يسبقه بناء للنضال الثوري بالحد الذي يجعل من السلطة وسيلة أمينة من
وسائل الثورة، وسرعان ما تتحول السلطة إلى غاية في حد ذاتها يكون الإصلاح مجرد
ستار وتبرير لها. هذه العقلية القطرية التي تتجاهل ليس ضرورة تحقيق الوحدة العربية
فحسب وإنما وحدة الأعداء والأخطار ووحدة المصير العربي كواقع لا يحتمل الجدل
فتعتبر ان انسحاب جيوش العدو من أراضي أقطارها إلى حدود ١٩٦٧، يشكل هدفاً
وطنياً من حيث أنه ضماناً للاستقلال القطري متجاهلة ماذا يعني بقاء إسرائيل في قلب
الأمة العربية والأرض العربية وتحالفها الدائم مع الاستعمار ومصالحه الأثمة في طول
البلاد العربية وعرضها عندما تنتهي حالة الحرب ويُفرض الاستقرار.

إنها نهاية مرحلة العقلية القطرية والعقلية الإصلاحية الفوقية اللتين ليستا في
الواقع إلا شيئاً واحداً وإسمين لمسمى واحد، عقلية الالتئام أو بالأصح عقلية إهزاء
الجماهير «بالبناء والتعمير». فالبناء والتعمير في التخطيط القطري يتجاهل أمرين
خطيرين، وحدة الأخطار الاستعمارية الصهيونية، ثم وحدة النضال العربي المتكافئة مع
تلك الأخطار. إن مشاريع التنمية والبناء مهما تكن ناجحة، إذا لم توضع منذ البداية
في إطار التخطيط والاعداد لمواجهة الأخطار الاستعمارية والصهيونية المهددة للوجود
العربي وكوسيلة من وسائل مواجهة هذه الأخطار والتغلب عليها، أي كوسيلة لبناء
النضال الجماهيري العربي الموحد بناء يضمن له الاستمرار والنمو المتزايدين فإن قصة
التنمية والتعمير تتحول الى إهزاء وتضليل ما دام وجود إسرائيل ومن ورائها الاستعمار
يستطيع أن يضرب في أيام جهود البناء في عشرين عاماً.

إن الأمم يمكن أن تهزم في الحروب والمعارك فإذا كانت فيها مقومات الحياة وإذا كانت مؤهلة لأن تعي وتستوعب أسباب هزيمتها فإنها تتغلب عليها في وقت قصير أو طويل. ولكن الهزيمة التي لانهوض منها ولا أمل في التغلب عليها، الهزيمة التي لا تقتصر على أن تكون شيئاً وقع وحدث في الماضي بل تتحول إلى شيء دائم ومتجدد هي تلك التي تلبس لباس النصر وتطلى بطلاء القتال والاستبسال لكي يسهل قبولها وتمر خدعتها. هذا ما يطلب من الشعب العربي أن يقاومه ويضع له حداً حاسماً وقد يتطلب الاعداد للنصر الأخير معارك قاسية وسنين طويلة شريطة أن يبدأ ذلك بالصدق والنظر الواضح الصافي. أما البداية بالتعمية وقلب الحقائق وتسمية الأشياء بعكس حقيقتها فهي بداية لا تقدر أن تلد أي نصر.

إن أمتنا بحاجة في هذا الظرف المصيري إلى أن تزود بأعلى درجة من الوضوح والعمق والموضوعية في نظرتها إلى حاضرها ومستقبلها، وبحاجة أيضاً إلى استلهام ماضيها الحضاري العريق، وحاضرها الثوري المليء بالتضحيات والبطولات التي قدمت فيه ملايين الشهداء في ثورات جسدت الفضائل الأساسية للإنسان العربي وللإنسان الثائر في كل مكان والتي يجب أن تتسلح بها أمتنا اليوم لرفض الاستسلام. إن أوضاع الحل السلمي يجب أن تقاوم بكل الطرق، بفضح العقلية التي أوصلت إلى الهزيمة والحل السلمي الذي هو تثبيت وتمكين للهزيمة. وبحماية المقاومة الموجودة وتعميقها وتوسيع أفقها وتوحيد قواها حتى تكون هي الرد على العقلية التي أوصلت إلى الهزيمة ولم تتوقف عند ذلك الحد بل استمرت تحاول تثبيت الهزيمة وفرضها على الأجيال المقبلة.

إنه في حين يراد لمستقبل أمتنا أن يُدفن ولا مكاناتها النضالية أن تُقبر نتيجة تأمر البعض وقصر نظر البعض الآخر من الذين ظلوا أسرى للنظرة الاصلاحية والاقليمية، فإن المطلوب هو متابعة النضال وتوحيده وإنقاذ المستقبل العربي والامكانيات اللامتناهية التي تكفل لهذا النضال أن يستمر سنين طويلة وأن يتسع حتى يشمل الأرض العربية من الخليج إلى المحيط.

تموز ١٩٧٠